من ضرر سقوطه عن رجله على وجهه فان ضرر البدن في الصوت من ضرر الدين قال الطيبي
قوله وانه ليزل عن لسانه تمثيل بعد تمثيل مثلا اولا مضرته منها في جاهه وسقوطه
من منزلته عند الله تعالى بمن سقط من اعلى مكان الى ادناه ثم مثل ثانيا مضرته
في نفسه وما يلحقه من المشقة والتعب بمن يتردى في وحل عظيم قد حض
قدماه في تلك المزالق فلا يتخلص منها رواه البيهقي في شعب الايمان قال
مبرك ناقلا عن التصحيح ورواه احمد في مسنده من طريق مكحول عن ابي
هريرة ورواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا اللفظ من طريق يحيى
ابن ابي عبيد عن ابيه عن ابي هريرة قلت وفي الجامع الصغير بلفظ
ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار ابعد ما بين المشرق
والمغرب رواه احمد والشيخان عن ابي هريرة وفي رواية للترمذي وابن
ماجة والحاكم عنه بلفظ ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها باسا يهوي
بها سبعين خريفا في النار وفي رواية احمد عن ابي سعيد ولفظه ان
الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها باسا ليضحك بها القوم وانه ليقع بها ابعد من
السما وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صمت اي سكت عن الشر نجا اي فاز وظفر بكل خير او سلم من آفات الدارين قال الراغب
الصمت ابلغ من السكوت لانه قد يستعمل فيما لا قوة له من المنطق وفيما له قوة النطق
ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت يقال لما له نطق فيترك
استعماله وقال القرافي اعلم ان ما ذكره صلى الله عليه وسلم من فضل الخطاب وحوامع
الكلم ولا يعرف الحكم ولا يعرف احد ما تحت كلماته من بحور المعاني الا خواص العلماء وذلك
ان خطر اللسان عظيم وافاته كثيرة من الخطا والكذب والنميمة والغيبة والريا
والسمعة والنفاق والتحسس والتزكية النفس والخوض في الباطل وغير ها وهو ذلك
النفس مائلة اليها لانها اساسا سباقة الى اللسان لا ينقل عليه وتها حلاوة في النفس
وعليها نواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيها قلما يقدر على ان يزم اللسان
فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة مع ما فيه من
جمع الهم ودوام الوقار وفراغة الفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول
في الدنيا ومن حسابه في العقبى وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وبذلك علم الرموز اسمن امر هوان الكلام اربعة اقسام قسم هو خير محض
وقسم هو شر محض وقسم فيه خير وشر ومنفعة وقسم لا خير فيه ولا منفعة اما الذي هو
خير محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه خير ومنفعة لانني بالخير ما
لا منفعة فيه ولا خير فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران
ظاهرا فلا يبقى الا القسم الرابع وفيه خطر اذا قد يمتزج به ما فيه اثم من حقائق الريا
والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول امتراء يخفى مدركه فيكون الانسان
به خاطرا انتهى وحاصله ان افات اللسان عنه محصورة وفي الصمت خلاص منها
وقد قيل اللسان جرمه صغير وجرمه كبير وكثير رواه احمد والترمذي والدارمي
والبيهقي في شعب الايمان وعن عقبة بن عامر اي الجهني قال قلت يا رسول

الله صلى الله

الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما النجاة اي ما نجاة هذا الامر حتى انفلت به او ما المخلص
من الافات حتى احترس به فقال املك عليك لسانك بفتح الهمزة وكسر اللام اي
احفظ لسانك عما ليس فيه خير كما قاله شارح فكالظهر ان معناه امسك لسانك
حافظا عليك امورك مراعيا لاحوالك ففيه نوع من التضمين وفي النهاية اي لا تجره
الا بما يكون لك لا عليك انتهى وهو حاصل المعنى مما لا يخفى وعن بعضهم اي احفظ
لسانك مملوكا لك فيما عليك وباله وتبعته فامسكه عما يضرك واطلقه فيما ينفعك
انتهى وهو ناظر الى ان الصيغة من الثلاثي المجرد ففي القاموس ملكه يملكه ملكا
مثلثة احتواه قادرا على الاستبداد به واملكه الشيء وملكه اياه تمليكا بمعنى
لكن النسخ المصححة والاصول المعتمدة بصيغة المزيد مضبوطة نعم كتب
ميركشاه على هامش كتابه الظاهر املك بكسر الهمزة من الثلاثي المجرد فانه متعد
لكن في الاصل صحيح من الثلاثي المزيد فيه وليس بظاهر تامل قلت لعل الزيادة
المبالغة في التعدية فتدبر هذا وقد قال الطيبي هذا الجواب من اسلوب
الحكيم سئل عن حقيقة النجاة فاجاب عن سببه لانهم اهم بحاله واولى
وكان الظاهر ان يقول حفظ اللسان فاخرجه على سبيل الامر الذي يقتضي
الوجوب من غير التقرير والاهتمام انتهى وما فيه من التلطف لا يخفى بل من الفسق
في حق الصحابي فانه جعل العدول عن صرفه حقيقة النجاة بالنسبة
اليه اولى فالصواب ان تقدير السؤال ما سبب النجاة بقرينة الجواب وقد
اشرنا فيما تقدم الى تقرير تقدير اخر والله اعلم وليسعك بكسر اللام ويسكن
يبيتك بان تسكن فيه ولا تخرج منه الا بضرورة ولا تتجر من الجلوس فيه بل
تجعله من باب القنية فانه سبب الخلاص من الشر والفتنة ولذا قيل هذا
زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت قال
الطيبي الامر في الظاهر وارد على البيت وفي الحقيقة على المخاطب اي
تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته
والخلوة من الاغيار وابك على خطيئتك اي ابك ان تقدر ولا فتبكيك ناد ما
على معصيتك فيما سبق من ايام حياتك قال الطيبي ضمن بكى معنى
الندامة وعداه بعلى اي اندم على خطيئتك باكيا رواه احمد والترمذي
وبوب ابن قانع والطبراني عن الحارث بن هشام صدر الحديث فقط وهو املك عليك
لسانك وعن ابي سعيد الخدري رفعه اي باسناده الحديث الى النبي صلى الله
عليه وسلم وانما الصحابي الراوي لانه شك في كيفية رفعه انه هل هو بصيغة السماع او
القول ونحوهما قال اذا اصبح ابن ادم اي دخل في الصباح وهو مفتاح باب الجنان فان
الاعضاء اي التي تتالف منها الاعضاء او مطلقا فان لها تعلقا ما في الحركات والسكنات
للانسان ويؤيده تاكيد عابقوله بها اللغة بتشديد الفا المكسورة اي تتذلل وتخضع
للسان فتجمع كفر اليهود اذا اخضع مطاطيا راسه وتحني لتعظيم صاحبه كما قاله شارح
وفي النهاية التكفر هو ان ينحني الانسان ويطاطي راسه قريبا من الركوع لما يفعل
من يريد تعظيم صاحبه فتقول اي الاعضاء اتق الله فينا اي في حفظ حقوقنا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)